الدرس التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

قال المؤلف شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وغفر له وللشارح والسامعين :

التاسعة والستون : الزيادة في العبادة كفعلهم يوم عاشوراء.

السبعون: نقصهم منها كتركهم الوقوف بعرفات.

****

بيَّن رحمه الله تعالى في هاتين المسألتين ما كان عليه أهل الجاهلية من الزيادة على المشروع من جهة ، والنقص منه من جهة أخرى ، وأن الواجب على المسلم أن يكون على حذر من هذه الجاهلية وذلك بالوسطية ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣] ، والوسط: هو الذي يقيم على الصراط لا يكون غاليا ولا جافيا ، لا يزيد عليه ولا ينقص منه، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : ((إياكم والغلو في الدين)) ؛ سواء كان ذلك بتجاوز الحد أو بالنقص منه . فكان من طريقة أهل الجاهلية في عددٍ من المسائل يزيدون على الحد المشروع .

ومثَّل على ذلك رحمه الله تعالى «**كفعلهم يوم عاشوراء**» وعرفنا أن يوم عاشوراء هو اليوم الذي نجى الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام ومن معه وأغرق فيه فرعون وجنوده ، وأن موسى عليه السلام صامه شكرًا لله تبارك وتعالى ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ((نحن أحق بموسى منهم)) لأنهم كانوا يصومون ذلك اليوم تأسيا بموسى عليه السلام ، لكن لم يكونوا يقتصرون على عبادة الصيام بل يتخذون ذلك اليوم يوم احتفال يُظهرون فيه الزينة والاحتفاء وأشياء يفعلونها زائدة على الحد المأمور ، فهذا زيادة في الدين .

وأشرت أيضا أن الله عز وجل ابتلى الناس في ذلك اليوم بمصيبة وهي قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وهذه ولاشك مصيبة عظيمة ، ولما كانت هذه المصيبة وقعت في هذا اليوم أخطأ على إثر ذلك طائفتان من الناس ؛ طائفة أخذت تجعل هذا اليوم على مدار الأعوام يوم مأتم ويوم حزن تُلطم فيه الخدود وتشق فيه الجيوب ويُدعى فيه بدعوى أهل الجاهلية ، وقسم آخر من الناس بزعمٍ منهم رد باطل أولئك اتخذوا ذلك اليوم يوم توسعة على الأولاد والأهل في الطعام والشراب واللباس ؛ وكل ذلك مما لم يشرعه الله ولم يأذن به تبارك وتعالى ، الذي شُرع للناس في يوم عاشوراء هو صيامه والتقرب إلى الله تبارك وتعالى بصيام ذلك اليوم ، فمن زاد على حد المشروع له فهذه جاهلية لم يأذن بها الله تبارك وتعالى ، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى:٢١] .

وكما أن الزيادة على المشروع باطلة لا تجوز ، فكذلك النقص والتدين بذلك والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بذلك؛ ولهذا عقد رحمه الله المسألة السبعون قال : «**نقصهم منها**» أي من العبادة التي شرع جل وعلا لعباده .

قال : «**كتركهم الوقوف بعرفات**» والوقوف بعرفات هي من إرث نبي الله تبارك وتعالى إبراهيم عليه السلام ، ولهذا جاء في بعض الأحاديث أن نبينا عليه الصلاة والسلام بعث إلى الناس وهم وقوف بعرفات وقال لهم : ((أنتم على إرثٍ من إرث أبيكم إبراهيم)) ؛ أي وقوفكم في عرفات إرثٌ من إرث إبراهيم عليه السلام . فكان المشركون لا يقفون في عرفات ويقولون لا نخرج خارج الحرم ، فيقفون في المزدلفة وتركوا هذا الإرث المبارك الذي هو الوقوف بعرفات ، قد قال الله سبحانه: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة:١٩٩] أي من عرفات ، لا من مزدلفة ، لأن الوقوف بعرفات شعيرة من شعائر الحج وهو إرث من إرث إبراهيم عليه السلام . فما كانوا يقفون في عرفات ، حتى لما حج النبي عليه الصلاة والسلام تحرى بعضهم أن لا يخرج إلى عرفات ، لأنهم مضوا على هذا الأمر وعلى ترك الوقوف في عرفات إلى أن بُعث عليه الصلاة والسلام وعاد الأمر إلى ما كان عليه أولا في الإرث المبارك لنبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام . تركُ أولئك الوقوف بعرفات ووقوفهم في المزدلفة تركٌ للواجب الذي فرضه الله سبحانه وتعالى على من حج أن يقف في عرفات ، فتركوا ذلك وكانوا لا يقفون إلا في المزدلفة ولا يتجاوزونها، فهذا ترك للواجب ونقصٌ من العبادة .

إذًا هؤلاء من جاهليتهم إما الزيادة في المشروع مالم يأذن به الله ، أو النقص منه ؛ وكلا من الزيادة والنقص من الجاهلية .

قال رحمه الله تعالى :

الحادية والسبعون : تركهم الواجب ورعا.

****

قال : «**الحادية والسبعون: تركهم الواجب ورعا**» أي يتورعون بترك ما أوجب الله سبحانه وتعالى عليهم ، يتركون أمورًا أوجبها الله سبحانه وتعالى عليهم يفعلونها على سبيل التورع ؛ وهذا من الجاهلية ،كيف يكون ما أوجبه الله على عباده أمرًا يتورع من فعله!! لاشك أن هذا من الجاهلية ، كيف يُتقرب إلى الله عز وجل بالتورع عن أمر أوجبه الله على عباده!! التورع يكون عن الأمور المحرمة والأمور المشتبهة والأمور التي فيها ريبة ((دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)) ، أما الواجبات وفرائض الدين فهذه كيف تُجعل مجالًا يتورع الإنسان منه ويتجنبه تورعا !!فهذه من جاهلية هؤلاء .

والأمثلة على ذلك من حالهم كثيرة منها : ما سبق أن مر معنا وهو تركهم للباس تورعا من أن يطوفوا به وقد فعلوا فيه الذنوب والمعاصي ، فكانوا يطوفون بالبيت عراة ويتورعون من الطواف باللباس لأن اللباس بزعمهم لباسٌ عصوا

الله تبارك وتعالى به فلا يطوفون به ، يتورعون من لبسه ، ولبسه واجب ، ستر العورة واجب ويحرم على الإنسان أن يكشف عورته ؛ فيتركون الواجب الذي هو ستر العورة تورعًا ؛ أي على سبيل الورع يقولون كيف نطوف بثياب عصينا الله تبارك وتعالى بها! .

قال رحمه الله تعالى :

الثانية والسبعون : تعبدهم بترك الطيبات من الرزق.

****

«**الثانية والسبعون: تعبدهم بترك الطيبات من الرزق**» ترك ما أباحه الله سبحانه وتعالى لهم وأحله لهم من الطيبات يتعبدون لله تبارك وتعالى بترك ذلك ؛ أي يجعلون ترك الطيبات من الرزق نوعًا من العبادة التي يتقربون بها إلى الله سبحانه وتعالى ، ولهذا جاء في أعمال أهل الجاهلية أنهم يحرمون أمورًا مثل تحريمهم لأصناف من بهيمة الأنعام كالوصيلة والحام ونحوها﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾[المائدة:١٠٣] ؛ فيجعلونها محرمة على أنفسهم يحرمونها على أنفسهم ويتدينون ويتقربون إلى الله سبحانه وتعالى بذلك التحريم ، تحريمهم لتلك البهائم على أنفسهم يعدون ذلك قربةً من القرب التي يتقربون بها إلى الله تبارك وتعالى ، ولهذا قال عز وجل: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾[الأعراف:٣٢] .

قال رحمه الله تعالى :

الثالثة السبعون: تعبدهم بترك زينة الله .

****

قال «**الثالثة والسبعون : تعبدهم بترك زينة الله**» أي يجعلون من القرب التي يتقربون بها الى الله سبحانه وتعالى ترك الزينة ، ومثال ذلك سبق قريبا ؛ وهو أنهم يتركون اللباس الذي هو زينة وجمال للإنسان وسترٌ لعورته ، يتركون اللباس ويتجردون من ألبستهم يفعلون ذلك على وجه التدين والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى والله يقول: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾[الأعراف:٣١] .

قال رحمه الله تعالى :

الرابعة والسبعون :دعوتهم الناس إلى الضلال بغير علم.

الخامسة والسبعون: دعوتهم إياهم إلى الكفر مع العلم.

****

هنا يشير رحمه الله تعالى في هاتين المسألتين إلى مسلكين من مسالك أهل الجاهلية:

- المسلك الأول يصف فيه حال عُبَّاد هؤلاء وهم الرُهبان المنقطعين للعبادة والعمل متقربين بها إلى الله سبحانه وتعالى عن غير علمٍ ، بل برهبانية ابتدعوها وعبادات اخترعوها لم يشرعها الله سبحانه وتعالى لهم ؛ فهذا الصنف من الناس حالهم كما وصف الشيخ رحمه الله تعالى «**يدعون الناس إلى الضلال بغير علم**» لأنهم هم ضالون في أنفسهم يتقربون إلى الله سبحانه وتعالى ببدع وأهواء وضلالات ما أنزل الله بها من سلطان ، وفي الوقت نفسه يدعون غيرهم إلى أن يتقربوا إلى الله سبحانه وتعالى بهذه البدع والضلالات التي كانوا يتقربوا إلى الله سبحانه وتعالى بها. ومثل هؤلاء وعلى طريقة هؤلاء أهل الضلال في كل وقتٍ وحين ممن يُحدِثون في الدين مما لم يأذن به الله وما لم يشرعه الله ثم يدعون الناس إلى تلك البدع، فدعاة البدع ودعاة الضلال فيهم شبه برهبان النصارى الذين تقربوا إلى الله سبحانه وتعالى ببدع ما أنزل الله بها من سلطان ثم صاروا دعاةً إلى تلك البدع . كذلك من يحدث في دين الله جل وعلا ما لم يأذن به الله وما لم يشرعه الله سبحانه وتعالى على عباده ثم يكون داعية إلى ذلك فهذا فيه شبهٌ من رهبان النصارى .
- ثم ذكر رحمة الله تعالى المسألة الثانية وهي : «**دعوتهم إياهم إلى الكفر مع العلم**» ليس عن جهل ولكن عن علمٍ بأن هذا الذي يدعون الناس إليه كفرٌ بالله وشرك به سبحانه وتعالى ، يضلون الناس بعلم ويدعون الناس إلى الكفر والضلال والباطل عن علم ، فهم في أنفسهم يعرفون عن أنفسهم أنهم دعاة للضلال ودعاة للباطل ودعاة للكفر بالله تبارك وتعالى ، لكن يدفعهم إلى ذلك أغراض عديدة مثل: الطمع في الرئاسات ، أو الطمع في الأموال، أو حسد الناس على ما أتاهم الله سبحانه وتعالى من الخير والفضل ، أو غير ذلك من الأغراض .

وهذه الحال التي يشير إليها حال اليهود ، والحالة الأولى حال عبّاد النصارى ، قد قال الله سبحانه وتعالى في سورة الفاتحة: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي أهل العلم والعمل ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وهم اليهود الذين عندهم علم لا يعملون به ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ وهم النصارى الذين يعملون بغير علمٍ ، ولهذا قال من قال من سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى «من فسد من علمائنا ففيه شبهٌ باليهود ، ومن فسد من عبّادنا ففيه شبه بالنصارى» ؛ من فسد من علمائنا : أي عنده علم لا يعمل به ، ومن فسد من عبّادنا أي من يعبد الله بالبدع والأهواء والضلالات وما لم يشرعه الله سبحانه وتعالى لعباده .

قال رحمه الله تعالى :

السادسة والسبعون: المكر الكبار كفعل قوم نوح.

****

قال: «**السادسة والسبعون: المكر الكبار**» والمكر يكون فظيعًا بالغًا مبلغه في الكبر والشناعة عندما يكون صاحبه يخطط لإيقاع الناس في بالكفر بالله عز وجل والشرك به وعبادة الأصنام والأوثان والبقاء عليها ، فمن كان يخطط لهذا الأمر ويرتب له ويريد أن يكون الناس عبدةً للأوثان والأصنام وأن يبقوا على هذه العبادة فهذا أشنع المكر وأكبره ، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى عن قوم نوح: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [نوح:٢٢-٢٤] ؛ فالمكر الكبار هو التخطيط الآثم والترتيب لدعوة الناس إلى الشرك بالله ، ودعوة الناس إلى البقاء على الشرك بالله تبارك وتعالى.

قال رحمه الله تعالى :

السابعة والسبعون: أن أئمتهم إما عالمٌ فاجر وإما عابدٌ جاهل ،كما في قوله ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦) أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٧) وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة:٧٥-٧٨] .

****

قال رحمه الله تعالى : «**المسألة السابعة والسبعون : أن أئمتهم إما عالمُ فاجر وإما عابدٌ جاهل**» ؛ أئمتهم : أي من جعلوهم أسوة لهم وقدوة لهم يقتدون بفعالهم ويتشبهون بهم وبأعمالهم ، لا يخرجون عن رجلين : إما عالم فاجر، أو عابد جاهل .

- إما عالم فاجر عنده علم بشرع الله تبارك وتعالى ولكن فجوره يجعله أولا هو في نفسه لا يعمل بهذا العلم ، ويجعله فجوره ثانيا : يدعو الناس إلى غير هذا العلم ؛ فإن كان كتابا حرفه وغيَّر فيه وبدل ، وإن كان حكما شرعيا ألغاه ووضع مكانه غيره من الأعمال التي لم يشرعها الله سبحانه وتعالى ، واتخذ أيضا ترأُسه بعلمه سبيلا لأكل أموال الناس بالباطل وارتكاب الفواحش ونحو ذلك من الآثام . فقدوة هؤلاء وأئمتهم إما عالم فاجر على الصفة التي أشرت إليها .
- أو عابدٌ جاهل يعبد الله بجهل وعن غير علم ، «ومن عبد الله بغير علم فإن ما يفسد أكثر مما يصلح »كما

قال بذلك أهل العلم ، من عبد الله بجهل فإنما ما يفسد أكثر مما يصلح بعبادته . وإذا كان يعبد الله عز وجل بالجهل والبدع والأهواء ثم يكون في الوقت نفسه داعية إلى ذلك فهذا شر إلى شر .

إذًا قدوة هؤلاء لا يخرجون عن رجلين : إما عالم فاجر أو عابد جاهل ، وذكر الدليل على ذلك قال : «**كما في قوله ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦) أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾**» ؛ فقوله تبارك وتعالى ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ إلى آخره هذا حال العالم الفاجر ، يسمع كلام الله عنده علم به ، سمعه وبلغه كلام الله وفهمه وعرف معناه لكن ماذا صنع ؟ قال ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ لا يفعلون هذه الممارسات عن جهل بل عن علم ، ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فهذه حال العلماء الفجار.

ثم ذكر تبارك وتعالى حال العباد الجهلة بقوله ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ أي إلا مجرد قراءة وتلاوة يقرأ الآيات لكن لا يدري ماهي ، ولا يعبد الله بما تدل عليه لأنه لا يدري ماهي ولا يعرف معناها ، بل يعبد الله سبحانه وتعالى بالبدع والأهواء ، أما آيات الله وكلامه فإنه لا يفهمه ، حظه منه مجرد القراءة والتلاوة ، ولهذا قال: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ أي إلا مجرد قراءة ، يقرؤون الآيات قراءةً بألسنتهم ، أما الفهم فهم بعيدون عنه فضلا عن أن يعملوا بآيات الله تبارك وتعالى ، ولهذا قال جل وعلا:﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [البقرة:١٢١] ، قد قال العلماء: إن تلاوة الكتاب حق التلاوة تكون بالقراءة للآيات ، والفهم لمعانيها ، والعمل بما تقتضيه ؛كل ذلك يعد تلاوةً ، حتى العمل نفسه يعد تلاوة ، العمل والإتباع يعد تلاوة ولهذا قال ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ [الشمس:٢] أي تبِعها ، فإتباع الكتاب والعمل بما جاء به هذا جزء من تلاوته . والأميون وهم عبدةٌ جهلةٌ يعبدون الله تبارك وتعالى بغير علم وحظهم من كلام الله وكتابه هو مجرد التلاوة.

قال رحمه الله تعالى :

الثامنة والسبعون: دعواهم أنهم أولياء الله من دون الناس .

****

قال: «**الثامنة والسبعون :دعواهم أنهم أولياء الله من دون الناس**» ولهذا قالوا ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة:١٨] ، وهذه دعاوى رخيصة سهلة على اللسان أن ينطق بها ، لكن الدعاوى لا قيمة لها ؛ إذا لم يحقق الإنسان ما ينال به الولاية وما ينال به تولي الله تبارك وتعالى له فإن دعاواه لا تفيده ، ولهذا قال الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١] لا يكفي مجرد الدعاوى أن يقول الإنسان أنا يحبني الله ، أو أنا أحب الله ، أو أنا من أولياء الله ، هذه الدعاوى لا تفيد صاحبها شيئا ، ولهذا قال جل وعلا: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ ، وفي الحديث المشهور عند أهل العلم بـ«حديث الولي» وفيه يقول الله سبحانه وتعالى: ((من عاد لي وليا أذنته بالحرب)) ذكر الله سبحانه وتعالى فيه في هذا الحديث القدسي علامة الولي ومن هو الولي؟ قال: ((من عادا لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)) فذكر من هو الولي وأن الولي : هو الذي يتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بالفرائض ثم ينتقل إلى درجة أعلى من ذلك بعد تقربه إلى الله سبحانه وتعالى بالفرائض ألا وهي التقرب إليه بالنوافل والرغائب والمستحبات ((ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)) .

فالذي لا يفعل الفرائض ويفرط في الواجبات ويرتكب المحرمات من أين له أن يكون وليا لله تبارك وتعالى؟!! وهذه حال هؤلاء ؛ تركوا دين الله وضيَّعوا الواجبات وارتكبوا المحرمات ثم مع هذا الركام من الباطل الذي هم عليه والذي يمارسونه يقولون نحن أبناء الله أحباؤه ، بل قالوا: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة:١١١] لن يدخل الجنة إلا نحن ، ومن سوانا لن يدخلها ، وهم أهل شرك وكفر ومعاصي وآثام وترك المحرمات ثم مع هذا الركام الكبير من الباطل يقولون نحن أولياء الله ونحن أحباء الله ولن يدخل الجنة إلا نحن!! ويقولون لن تمسنا النار إلا أيام معدودات أيام قليلة ، فمثل هذه الدعاوى رخيصة .

ولهذا من ضل من دعاة الباطل سلكوا مثل هذا المسلك وادَّعو مثل هذه الدعاوى ، ولهذا يوجد عند بعض أئمة الطُرقية من أهل الضلال والباطل نظير هذا الكلام ، وزعمهم أن الجنة بأيديهم ، وأنه لا يدخل أحد النار من مريديهم وأتباعهم ونحو ذلك ، مثل هذه الدعاوى سهلة على كل لسان ورخيصة يمكن النطق بها لكنها لا تجدي ولا تفيد صاحبها شيئا ، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء:١٢٣] .

ثم إن ولي الله سبحانه وتعالى حقًا وصدقا لا يزكي نفسه ، لا يقول أنا من أولياء الله ، وأنا من المقربين ، لا يقول ذلك لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم:٣٢] ، لا يزكي نفسه بل لا يزال مطيعا لله سبحانه وتعالى محافظا على أوامر الله متجنبا الحرام والآثام وهو خائف ، قال عبدالله بن أبي مليكة رحمه

الله وهو من علماء التابعين «أدركتُ أكثر من ثلاثين صحابيا كلهم يخاف النفاق على نفسه» ، قال الحسن البصري رحمه الله : «إن المؤمن جمع بين إحسان ومخافة ، والمنافق جمع بين إساءة وأمن» ؛ المنافق يسيء العمل وهو آمن من مكر الله ، مع إساءته يقول : أنا من أولياء الله ، وأنا من أهل الجنة ، وأنا لن أدخل النار، ونحو ذلك من الدعاوى .

قال رحمه الله :

التاسعة والسبعون : دعواهم محبة الله مع تركهم شرعه؛ فطالبهم الله بقوله ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾

****

«**دعواهم محبة الله مع تركهم شرعه**» دعواهم محبة أي أنهم يحبون الله وأن الله يحبهم قالوا ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة:١٨] ، فهم يدَّعون أنهم يحبون الله وأن الله سبحانه وتعالى يحبهم مع تركهم شرعه !! أي لا يطيعون الله ولا يمتثلون أوامره ولا يجتنبون ما نهاهم عنه تبارك وتعالى ، وفي الوقت نفسه يقولون الله يحبنا ونحن أحباء الله ، يقولون هذا القول مع أنهم تاركون لشرع الله سبحانه وتعالى .

قال المصنف: «**فطالبهم الله بقوله ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾**» فجعل تبارك وتعالى علامة المحبة صدق الإتباع ، اتباع الرسل ولزوم شرع الله سبحانه وتعالى الذي أنزله تبارك وتعالى على رسله هذه علامة المحبة ، ولهذا بعض العلماء يسمي هذه الآية الكريمة «آية المحنة» ؛ أي من ادَّعى محبة الله فليمتحن نفسه على ضوء هذه الآية ، هل هو متبع لشرع الله أو غير متبع ؟ إن كان متبعا فهذا من علامات صدق المحبة ، وإن كان غير متبع يمارس المحرمات ويترك الواجبات فأين البرهان؟

تعصي الإله وأنت تزعم حبه ... هذا لعمر في القياس شنيعُ

لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن أحب مطيعُ

لو كان هناك محبة صادقة لوجدت الطاعة ؛ فإذا لم توجد الطاعة فعدم وجودها دليل على عدم وجود المحبة ، لا يمكن أن يكون هناك محبة قلبية صادقة وفي الوقت نفسه عصيان وعدم طاعة لله تبارك وتعالى . فطالبهم الله أن يبرزوا علامة صدق محبتهم لله تبارك وتعالى إن كانوا صادقين ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ .

ولهذا عند هذه الآية الكريمة قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى في كتابه التفسير : «هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله دون أن يلزم الشرع النبوي بأن دعواه كاذبة» ، وأورد عن الحسن البصري رحمه الله أنه قال :

«زعم قوما قالوا إنا نحب ربنا حبا شديدا فأنزل الله قوله ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾» ، وأيضا نقل عن بعض السلف كلمة جميلة جدا قال : «ليس الشأن أن تُحِب ولكن الشأن أن تُحَب» ؛ ليس الشأن أن تقول أنا أحب الله بادِّعاء ذلك مجرد دعوى ، ولكن الشأن أن تحَب أي أن يحبك الله ، والله سبحانه وتعالى لا يحبك بمجرد هذه الدعاوى مع تركك لطاعته وفعلك للمحرمات والآثام والموبقات التي لا تزيد الإنسان من الله إلا بعدا ، فقال «ليس الشأن أن تُحِب ولكن الشأن أن تحَب» أي أن يحبك الله ، والله سبحانه وتعالى يحبك بفعل الفرائض والعناية بالطاعات كما مر معنا في الحديث القدسي ((ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)) .

فالذي يطلب لنفسه محبة الله ويرجو أن يكون ممن يحبهم الله سبحانه وتعالى فليسلك المسالك التي توصله إلى ذلك؛ وذلك بفعل الأوامر وترك النواهي ، وفي الدعاء المأثور الثابت عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه كان يقول في دعائه: «اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يقربني إلى حبك» . والشاهد هنا قوله ((والعمل الذي يقربني إلى حبك)) ، لابد من الأعمال والطاعات التي تقرب الإنسان إلى حب الله تبارك وتعالى.

قال رحمه الله:

الثمانون: تمنيهم الأماني الكاذبة كقوله ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ [البقرة:٨٠] ، وقوله ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ [البقرة:١١١] .

****

قال رحمه الله تعالى «**المسألة الثمانون : تمنيهم الأماني الكاذبة**» أي مع الضلال الذي هم عليه والباطل الذي يمارسونه والبعد الكبير عن دين الله الذي شرع لعباده وأمرهم به ، مع ذلك كله يتمنون الأماني الكاذبة ؛ أي مع الشرك والضلال والباطل يقول: أتمنى أن أكون في الدرجة العالية من الجنة مثلا ، وأتمنى أن لا أدخل النار وألا يعذبني الله، وأتمنى أن ألقى الله وهو راضٍ عني وغير ساخط .. أماني تكذبها الأعمال ، ولهذا وصف الشيخ رحمه الله الأماني بأنها كاذبة لأن الأعمال تكذبها ؛ يتمنى ولا يعمل! والأماني التي لا يكون هناك معها عمل تتحقق به الأماني لا توصِل الإنسان إلى مطلوبة ، ولهذا مر معنا في الآية الكريمة قول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء:١٢٣] ، وفي هذا المعنى يقول الحسن البصري رحمه الله : «ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقته الأعمال» ؛ "ليس الإيمان بالتمني" أي بمجرد الإتيان بمثل هذه الأماني الكاذبة ، "ولا بالتحلي" أن يصف نفسه بالإيمان دون أن يقوم بحقيقة الإيمان ودون أن يحقق الإيمان في نفسه ، «ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقته الأعمال» .

قال رحمه الله : «**تمنيهم الأماني الكاذبة كقولهم ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾** [آل عمران:٢٤] » النار لن تمسنا، وإن مستنا تمسنا أيام قليلة معدودة ، حتى بعضهم قالوا أن النار إنما تمسنا المدة التي عبدنا فيها العجل قبل رجوع موسى إلينا ، فأيام معدودات هي التي تمسنا فيها النار ثم نخرج ونكون في الجنة .

أيضا مثل ذلك قولهم ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ هذه أماني ؛ لا ندخل النار ندخل الجنة هذه أماني لا يترتب عليه وقوع الأمر الذي يتمنونه ما لم يحققوا الأعمال التي تكون بها النجاة من النار ويكون بها دخول الجنة ، وفي الدعاء المأثور «اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول و عمل» ، فالجنة لها أعمال وأقوال تقرب إليها ، والنار لها أعمال وأقوال تقرب اليها؛ فالذي يعمل الأعمال التي تقرب إلى الجنة يفوز بالجنة ، والذي يعمل الأعمال التي تقرب إلى النار يبوء بدخول النار، أما مجرد الأماني فإنها لا تجدي ولا تفيد صاحبها شيئا.

قال رحمه الله تعالى :

الحادية والثمانون : اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد .

****

قال رحمة الله تعالى : «**المسألة الحادية والثمانون: اتخاذ قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد**» ؛ اتخاذها مساجد المراد به: أن هؤلاء اتخذوا قبور أنبيائهم مكاناً للعبادة يتحرون العبادة عندها والمكث عندها أي الوقوف الطويل والدعاء عندها ، فاتخذوها مساجد: أي اتخذوها موضعا للعبادة ، سواءً بنو عليها بناءً جعلوه مسجدا ، أو اتخذوها موضعا للعبادة بدون أبنية يعكفون عندها ويتحرون العبادة عندها ويمارسون العبادة عندها كل ذلك من اتخاذها مساجد .

فاتخاذ القبور مساجد يكون بأمرين :

١. يكون بالبناء عليها بحيث تكون مسجدا ، أي مسجدًا مبنيا وضع للعبادة .
٢. والأمر الثاني : أن تكون القبور مكانا تُتحرى العبادة عنده ، بحيث يعكف عند القبر ويتحرى الدعاء والذكر لله تبارك وتعالى عند القبر ، فهذا من اتخاذها مساجد

اتخاذ القبور قبور الانبياء والصالحين مساجد ، وقد قال علية الصلاة والسلام قبل أن يموت : ((لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) يحذر ممن صنعوا علية الصلاة والسلام ؛ ((لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد)) اتخذوها مساجد بالبناء عليها ، واتخذوها مساجد بجعلها موضعا للعبادة يتحرون العبادة عندها . وشاهد هذا قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث ((جُعلت لي الأرض مسجدا)) أي

مكانا للعبادة أينما تدرك الإنسان المرء الصلاة يصلي ، ويستثنى من ذلك المقبرة والحمام ؛ المقبرة ليست مكانا تُتحرى العبادة فيه أو تُفعل فيه ، وفعل العبادة أي القربة التي يتقرب بها إلى الله عند المقابر أو في المقابر هذا من ذرائع الشرك ووسائل الباطل ، ولهذا قال : ((لاتصلوا إلى القبور)) لأن هذا ذريعة الشرك حتى وإن كان لا يريد أن يصلي إلا لله ، ولهذا مرةً كان أنس يصلي وأمامه قبر ما انتبه ، كأنهم كانوا في طريق وكان يصلي وأمامه قبر ما انتبه إليه ؛ فأخذ يصيح به عمر رضي الله عنه: «يا أنس القبر، يا أنس القبر» مثل ما تقول لصاحبك "يا فلان الحية" أو "يا فلان العقرب"؛ لأن هذا ذريعة الشرك ، تحري العبادة السجود والركوع عند القبور حتى لو لم يقصد صاحبه إلا التقرب إلى الله سبحانه وتعالى هذا ذريعة للشرك وعبادة القبور من دون الله .

فمن جاهلية أولئك : اتخاذ القبور مساجد ؛ أي مكانًا تتحرى العبادة عندها.

قال رحمه الله :

الثانية والثمانون : اتخاذ آثار أنبيائهم مساجد كما ذُكر عن عمر رضي الله عنه .

****

قال «**الثانية والثمانون : اتخاذ آثار أنبيائهم مساجد**» آثار الأنبياء :أي المواضع التي للأنبياء فيها أثر معين ، مثل شجرة جلس تحتها ومعه قومه أو بايعوه عندها ، أو جلس في مكانٍ أو مر في مكانٍ أو نحو ذلك ؛ فمن الجاهلية اتخاذ آثار الأنبياء مساجد ، يعني يقول هذا موضع جلس فيه النبي نفعل هنا مسجد ، أو نتحرى الصلاة في هذا المكان ، أو هذه الشجرة جلس عندها أو مر بها فنتحرى الصلاة عندها ، وهكذا ، يجعلون آثار الأنبياء مساجد أي مكانا تتحرى العبادة عنده السجود والركوع ؛ فهذه من أعمال أهل الجاهلية .

ولهذا أشار المصنف قال : «**كما ذُكر عن عمر**» ، لأن عمر وجد بعض الناس يمرون على الشجرة التي تمت عندها بيعة الرضوان ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨] ، فهذه الشجرة وجد عمر أن بعض الناس يتحرى في سفره المرور عندها الصلاة ، فأمر عمر رضي الله عنه بقطع الشجرة وقال : «إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا ؛ اتخذوا آثار أنبيائهم مساجد» أي يتحرون العبادة عند آثار الأنبياء .

ونحن مطالبون بإتباع آثار الأنبياء الذي هو دينهم والكلام الذي بلّغوه للناس والأعمال التي هم قدوة للناس بها ؛ عبادة الله وفعل الخيرات وتجنب المحرمات والآثام، ولهذا يسمي أهل العلم أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام «آثار»، وبعض مصنفات أهل العلم في الحديث سموها بهذا الاسم «الآثار» ، لأن أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم هي آثاره التي يجب على الإنسان أن يحرص عليها وأن يأخذ منها النصيب الأوفر ، أما أن يتخلى عن هذه الآثار ويتتبع الآثار التي هي الأماكن التي مر بها أو جلس عندها أو نحو ذلك ويتحرى العبادة عندها فهذا أمرٌ هو من الأمور التي لم يشرعها الله سبحانه وتعالى لنا.

قال رحمه الله :

الثالثة والثمانون : اتخاذ السُرج على القبور .

****

«**الثالثة والثمانون : اتخاذ السُرج على القبور**» أي الاضاءات ، يضعون سُرُج تضيء المكان وتجعل القبر مكاناً مضيئا ؛ فيضعون السرج ويضعون أيضا الستائر ويضعون الزينة على القبور ، ومثل هذه الأمور وضعها على القبور يحرك قلوب الجهال والطغام والعوام إلى العكوف عند القبور وتحري العبادة عندها وتعظيم القبور التعظيم الذي لم يأذن به الله تبارك وتعالى ، فتكون سبب فتنة للناس ؛ فهذا من أعمال أهل الجاهلية «اتخاذ السرج على القبور» ، قال عليه الصلاة والسلام ((لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها السرج)) لعن عليه الصلاة والسلام من يفعل ذلك ، لأن اتخاذ السرج على القبور من أسباب الافتتان بالقبور والتعلق بها.

قال رحمه الله تعالى :

الرابعة والثمانون : اتخاذها أعيادا.

****

«**اتخاذها**» أي القبور «**أعيادا**» أي مكانا يعاود إما بعود العام أو الشهر أو اليوم أو الأسبوع أو نحو ذلك ، مثل أن يقول قائلهم "أنا كل سبت أذهب إلى القبر" أو مثلا "كل يوم بعد العشاء مثلا" ، فيجعل وقتا ثابتا يعاود فيه القبر ويكرر ذلك تلك المعاودة ، ولهذا جاء في الدعاء عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قال : ((اللهم لا تجعل قبري عيدا)) أي مكانا يُقصد بالمعاودة والتكرار كل يوم مثلا أو كل شهر أو على رأس كل سنة أو نحو ذلك من المعاودة ، فدعى النبي صلى الله عليه وسلم ربه سبحانه وتعالى بهذه الدعوة قال ((اللهم لا تجعل قبري عيدا)) .

فمن أعمال الجاهلية التي جاء الإسلام بالتحذير منها : اتخاذ القبور عيداً.

قال رحمه الله :

الخامسة والثمانون: الذبح عند القبور.

****

«**الخامسة والثمانون: الذبح عند القبور**» أي ذبح القرابين تقربا للمقبورين بها ، أو تحريا لذبحها عند القبور تبركا ؛ فهذا من أعمال أهل الجاهلية ، كانوا يتقربون إلى المقبورين بذبح النذور عندها وذبح الذبائح عندها ؛ فهذا من

الشرك بالله سبحانه وتعالى وهو من أعمال الجاهلية ، وقد قال الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢] قوله ﴿وَنُسُكِي﴾ : أي ذبحي.

قد جاء في الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: ((دخل رجل النار بذباب ودخل رجل الجنة بذباب)) قالوا: وكيف ذاك؟ رجل يدخل النار بذباب وآخر يدخل الجنة بذباب!! أمر عجيب ، قالوا وكيف ذاك؟ قال : ((مر رجلان بقوم عندهم صنم ولا يجوزه أحد -لا يمر أحد من عنده- إلا قالوا له قرِّب ، فمر هذان الرجلان بهذا الصنم فقالوا لأحدهما قرب قال: ليس عندي شيء أقربه -لا أملك أي أنا مستعد لكن ليس عندي شيء أقربه- قالوا قرب ولو ذبابا فاصطاد ذبابا وقطع رأسه تقربا لذلك الصنم فمات فدخل النار ، قالوا للآخر قرب، قال : ما كنت لا قرب لأحد غير الله ، فقطعوا رأسه فدخل الجنة)) إذا كان التقرب لتلك المعبودات ولو بذباب موجبا لدخول النار فكيف بمن يشتري أطيب بهيمة الأنعام وأسمنها وأحسنها ويأتي بها يقودها ويسوقها إلى القبر ويذبحها عنده متقربا بها إليه!! فهذا من الشرك بالله تبارك وتعالى المصادم للتوحيد كل المصادمة.

قال رحمه الله :

السادسة والثمانون: التبرك بآثار المعظمين؛ كدار الندوة ، وافتخار من كانت تحت يده بذلك ، كما قيل لحكيم بن حزام رضي الله عنه بِعت مكرمة قريش؟ فقال: «ذهبت المكارم إلا التقوى» .

****

ثم قال رحمه الله تعالى : «**المسألة السادسة والثمانون: التبرك بآثار المعظمين**» أي عندهم ، وآثار المعظمين: هي المواقع التي لها اختصاص بهم ،كأن يكونوا مثلا كانوا يجلسون فيها كثيراً أو كانت ناديا من أنديتهم أو موضعا معروفا بجلوسهم فيه أو بإعمالٍ معينه لهم في تلك الأماكن ، «التبرك بآثار المعظمين» أي التماس البركة بإتيان أماكن المعظمين عندهم فيجلس في تلك الأماكن طلبا مثلاً للبركة ، أو ربما مسح يده أو ألصق صدره بتلك الأماكن طلبا للبركة ، أو جعل ملابسه أو شيء من حاجاته وطعامه في تلك الأماكن طلبا للبركة ؛ كل ذلك من أعمال أهل الجاهلية «التبرك بآثار المعظمين» .

وضرب مثالا لذلك قال : «**كدار الندوة**» وهذه الدار كانت لبعض المعظمين عندهم فكانت مكانا يتخذ للتبرك وطلب البركة ، وهذا من جاهلية هؤلاء .

قال : «**وافتخار من كانت تحت يده بذلك**» يعني تلك الآثار من كانت تحت يده يفتخر بذلك ، لأنه عنده مكان مبارك ومكان تطلب فيه البركة وتُلتمس ، فكانوا من عنده شيء من تلك الأمكنة يفتخر بذلك .

قال : «**كما قال لحكيم بن حزام بعت مكرمة قريش؟**» يعني تخليت عنها وتركتها ؟ «**فقال** : **ذهبت المكارم إلا**

التقوى» أي تقوى الله سبحانه وتعالى .

ونكتفي بهذا القدر والله أعلم وصلى الله وسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد.